مؤلف جديد من تاريخ الخلافة العربيـــة

البروفسور الدكتور ضياء الدين موسى بونييانوف (٢)

ترجمة الدكتور حسين قاسم العزيز

(ينهمك ، رغم تشعب اعماله ، المستشرق الاذربيجاني ، بطل الاتحـــاد السوفيتي ضياء الدين موسى بوفييانوف ،في قضايا تاريخ العرب والاسلام فلا يترك مؤلفا او بحثا ، يقع في متناول يده ، عن تاريخ الخلافة وما يتصل به ، الا ويشبعه درسا ، وينشر فيما يتيسر له من مطالعته وتقييماته • وآخر ما وصلنا منه مقاله عن القسم الاول من الجزء الرابع لكتاب « العيون والحدائق في اخبار الحقائق » ، تحقيق الاستاذة نبيلة عبدالمنعم داود » ، وهو لمؤلف مجهول • سبق وارسل الى المستشرق بونييانوف القسم الثانى من الجزء الرابع من كتاب العيون[٣] ايضا ومن تحقيق المحققة ذاتها ، بيد انه نفى استلامه القسم الثانى من الجزء الرابع من هذا الكتاب • فأرسل اليه ثانية وعسى ان لا يضيع مرة اخرى فنحن بانتظار تقييمـــه كاملا عن الجزء الرابع بقسميه الاول والثانى ـ المترجم •

عصر تاريخ الخلافة ، المحددة اطره بـ ٢٥٥-٣٥٠ هـ (٨٦٩-٩٦١م) • غنى جدا بالظواهر السياسية والاجتماعية ، التي ادت الى تدهور نفوذ الخلفـــاء كحكام دنيويين وأبقتهم رؤساء دينيين في حياة العالم الاسلامي فحسب •

ويتميز هذا العصر بظهور ، دول : الصفاريين ، الفاطميين ، الحمدانيين ، والاغالبة ، في الميدان السياسى • وكانت ادارة هذه المجموعة كافة من قبل خلفـاء ضعفاء الارادة وغير مؤهلين لاستعادة سابق عز وسلطة اسلافهم • كـــان هؤلاء الخلفاء منهمكين ، بالاساس ، بملذاتهم الخاصة ولا يملكون اى تأثير فى احداث الامبراطورية •

لعب الديالمة والاتراك الدور الاساسي في السياسة المتعاقبة لذلك الزمـــن (انظر ص•م بياتوف • بدء سيادة الاتراك في خلافة العباسيين «٨٣٠-٨٧٠م» ،

أخبار اكاديمية علوم أذربيجان السوفيتية • سلسلة التاريخ الفلسفة والقانون نمرة ١ ، ١٩٦٩ ، ص ٥١-٥٨) •

ان مؤلف الطبرى من اكثر المصادر اهميـــة في التوضيحـــات المفصلة عن الصراع بين الاتراك والعباسيين تليه اعمال المسعودى ، ابن مسكويه ، ابن الجوزى ابن الاثير وغيرهـــا •

في مصاف المؤلفات المهمة ، التي تعكس احداث العصر المنوه عنه ، يحتـــل الان ويجب ان يشغل مكانه مؤلف (العيون والحدائق فى اخبـــار الحقائق)[٤] المجهول مؤلفه • يتألف هذا المؤلف من خمسة مجلدات ، علما بانه لم يصلنـــا منه سوى المجلدين الثالث والرابع • حدد المجلد الثالث (العيون) بين دفتيـــه الاحداث من ٨٦هـ (٧٥٥م) • اى من ابتداء حكم الخليفة الاموى الوليـــد بن عبدالملك الى نهاية حكم الخليفـــة العباسي المعتصم ، اى حتى ٢٢٧هـ(٨٤٢م)، وكان المستشرق الهولندى دىغويه قد نشره في ١٨٦٨ في ليدن •

(انظر ما اوردناه عن ذلك في التعليق ـ المترجم) •

ومنذ امد قريب ، وبفضل جهود المؤرخة العراقية نبيلة عبدالمنعم داود ،رأى القسم الاول من المجلد الرابع (من العيون) النوع لاول مرة (العيون والحدائق المجلد الرابع القسم الرابع القسم الاول ، النجف ، ١٩٧٢ ، ٣٩٧ ص٥ وطبع المؤلف بتعضيد من جامعة بغداد) •

نشر المجلد الرابع (العيون) على اساس نسخة برلين الخطية الوحيدة نمـرة ١٩٤١ المؤلفة من ٢٧٩ ورقة • تحتوى كل ورقة على ١٣ سطرا في الصفحة بخط مريح للقراءة ، بيد انه يحتوى على جملة من الاخطاء النحوية وعدم الضبط في كتابة الاسماء (ونفس الشيء للاسم عدة كتابات) • وحواشى المخطوطـــة مملوءة بالتذيلات والايضاحات ، بمختلف الخطوط المستعملة •

زمن الاستنساخ ـ العشرة الثانية من شوال ٦٢٦هـ (٢-١١ ايلول ١٢٢٩م)، لم يذكر اسم الناسخ (المطبوع ـ ص٩) • لا توجد في القسم المطبوع من المجلـد الرابع (العيون) ولا في المخطوطة اية اشارات لاسم صاحب المؤلف ولا الى زمـن

حياته • بيد ان من اقتباسات المؤلف من مؤلفات المؤرخين المغاربة يمكن الافتراض بانه منحدر من القيروان ، وقد اشار ك•بروكلمان[٥] في زمنه عن ذلك (ص١٠ - ١١) •

وممكن من نمط اسلوبه[٦] الادعاء بان (العيون) قد كتب في نهاية القرن السادس الهجرى (نهاية القرن الثاني عشر الميلادى) اذ ان هذا المجلد قد كتب عن الاحداث المنتهية بـ ٣٥١هـ ويتابعه المجلد الخامس • حصل على امثال هذه المعلومات الشحيحة للغاية عن صاحب (العيون) ناشرته نبيلة عبدالمنعم داود (ص١١)

كان رواة صاحب مؤلفنا الاساسيون ابو جعفر احمد بن الجزار توفى في نهاية «القرن التاسع» الطبيب الذائع الصيت في عهد الفاطميين ، الكاتب ، بالاضافة الى المجموعات الطبية ، لعدة مؤلفات في تاريخ الفاطميين في الجغرافية • تنحصر اهمية مواد (العيون) في ان صاحبه حفظ لنا مقتطفات من مؤلفات الجزار التي لم تصلنا • زد على ذلك ان امثال هذه المقتطفات في (العيون) ١٤ تضمنت معلومات مهمة عن الفاطميين (انظر الصفحات : ١٣، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٨٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٧، ٢٢٠، ٢٢١ ، ٢٥٩ ، ٣١٨، ٣٣٩، ٣٤٩) • زد على ذلك حفظ صاحب (العيون) ايضا •واة الجزار ذاته (ص١٤)[٧] •

وكان من مصادر صاحب (العيون) الاخرين ابو محمد عبدالله بن احمد الفرغاني (توفى ٣٦٢هـ) الذى كان راوية للاحاديث وله مؤلف (الاضافة الى «تاريخ» الطبرى)[٨] ، وهنا محفوظة رواة الفرغاني (ص١٤) •

ويستشهد صاحب (العيون) بنوادر كتاب القرون الوسطى امثال ابو الحسين العجمي ، ابو محمد الحسن ، ابو عبدالرحمن العتقي (توفى ٣٨٤هـ) ، محمد بن عبدالله الفريابي (توفى ٣٨٥هـ)[٩] وآخرون ، ومذكور معهم رواتهم (ص١٤-١٥) •

يلقي المؤلف الضوء على تلك الاحداث المهمة في تاريخ الخلافة ، كانتفاضتي الزنج والقرامطة ، انباء الحلاج ، عن ظهور و رقي البويهيين ، عن الصراع بين الاتراك والعباسين ، بين العباسين والديالمة ، وكذلك عن ادوار زوجات ومخطيات

الخلفاء في الدسائس البلاطية • تنظيم تراجم مجموعة القضاة ، الوزراء ، العلماء، الشعراء وغيرهم (١٥-١٦) •

لقد صنف (العيون) على ذلك النهج الذى درج عليه عمل الطبرى ، اى التتابع التقويمي • ولقد اعطيت لمواد احداث شرق الخلافة في بعض السنين مكانا اوسع مما لاحداث المغرب •

ان المعلومات المحصورة بين اعوام ٢٥٥-٢٩٥ مشابهة للمواد المعروضة في مؤلف الطبرى ، بيد انها تميزت عن الاخيرة اسلوبا ونمطا • فاحيانا صاحب (العيون) كثير الاطناب ، واحيانا مختصر للغاية ، كما يشاهد هذا في اسلوب احداث ٣٠٠-٣٠١هـ (ص١٨) •

اخذ صاحب (العيون) المعلومات عن القرامطة من الطبرى والبكرى[١٠] ، غير ان مواد ٢٨٤-٢٩٥ هـ في معظم اقسامها مرتبة على معلومات الطبرى وابن مسكويه[١١] • وان كان الاخير نفسه قد اقتبس هذه المعلومات من الطبرى • المعلومات عن احداث ٢٩٥-٣٥١ هـ مقتبسة من ابن مسكويه مع تغييرات في الاسلوب والنمط[١٢] • ان قسم تراجم الوجوه المستشهد بها من قبل صاحب (العيون) غير مسندة في المصادر الاخرى لكن غالبيتها مقتبسة (ص١٨) •

وتنحصر اهمية (العيون) بان مؤلفه قد حفظ لنا مقتطفات من مؤلفات تاريخية لم تصلنا ، وطائفة من التراجم • اما المعلومات عن الفتوحات العربية في اوربا (ص١٩،٧٠) فكانت من الفرائد • ومما يدعو الى اعتبار (العيون) مصدرا ثمينا ان بعضا من مواد تاريخ المغرب ودول الاغالبة والفاطميين ليس لها ما يوازيها في المؤلفات الاخرى (ص ٨٢،٩٩،١١٥،١٤٧،١٥٠،١٩٨،٢٣٢) •

بحوزة نبيلة عبدالمنعم داود نسخة مخطوطة وحيدة لمصنف غفل المؤلف وقامت بنشره ، وعملت بالطبع كل ما هو ممكن ، لتبقيه فريدا ، باسلوبه ودقته • لقد اجرت مقارنات مسهبة للغاية لنص (العيون) مع نصوص مؤلفات الطبرى ، عريب[١٣] ، المسعودى ، ابن مسكويه ، الهمداني ، ابن الجوزى وابن الاثير ، مفضلة اكثر المؤلفين قدما •

لقد عكفت بدقة للغاية على مطالعة الضياع الخاصة والجغرافية لكيما تكون مكرسة ايضا لخدمتها لقد ساهمت نبيلة عبدالمنعم داود بعملها في دراسة الشرق العربي الماضي ، الغني باحداثه ، ويحتل عملها مكانه الجدير به في العلم • اننا سنظل بانتظار صدور القسم الثانى من المجلد الرابع (للعيون والحدائق)[١٤] ، ونعبر عن اسمى واحسن التمنيات للناشرة في عملها الاصيل •

تعليق من المترجم

يعتقد البعض ان صاحب العيون والحدائق المجهول ربما كان من اهل القرن الرابع الهجرى ؟ كما ويعتقد آخرون ان هذا المؤلف اندلسي عاش في القرنين السادس والسابع الهجرى •

وقد وردت اشارة لدى آدم‌متز تشير الى انه نقل عن العيون نصا لابن الجزار المؤرخ المغربى المتوفى عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م ، الحضارة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٧، القسم الاول ص٢ والهامش رقم ٣ • غير ان ابن الجزار احمد بن ابراهيم بن ابي خالد ابو جعفر القيرواني ، الطبيب المؤرخ من اهل قيروان قد توفى حوالي ٣٥٠هـ /١٩٦١م (انظر الاعلام للزركلي ١/٨٢) • وقد ذكر الزركلي لابي جعفر ابن الجزار هذا مصنفات هي : زاد المسافر في الطب ، والاعتماد في الادوية المفردة ، والبغية في الادوية المركبة ، والتعريف بصحيح التاريخ ، وذم اخراج الدم ، ورسالة فى النفس ، واستباب الوباء بمصر والحيلة في دفعه ، وطب الفقراء ، ودولة المهدى العبيدى ـ وظهوره بالمغرب • الاعلام ، ١/٨٢ـ٣ • لقد طبع من كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق للمؤلف المجهول الجزء الثالث ، طبع ماتياسن الجزء الخاص بخلافة المعتصم ، ليدن ، ١٨٤٩م • وطبع المستشرق الالماني اوشباخ بمعاونة جوينبول جزءا مشتملا على تاريخ الوليد وسليمان ابني عبدالملك ، ليدن ، ١٨٥٣ ، ونشر دى‌غويه بمعاونة المستشرق الهولندى دى‌يونك ١٨٣٢ـ١٨٩٠ الجزء الثالث متنا وترجمة لاتينية وقد ذيلاه بفهارس لاسماء الرجال والقبائل ، ليدن ١٨٦٩ـ١٨٧١ ، وقد اعيد طبعه بالاوفسيت • اما الجزء الرابع بقسميه الاول والثانى فقد قامت الاستاذة نبيلة ـ كما هو مبين اعلاه ـ بتحقيقه ونشره • توجد مخطوطة للعيون والحدائق في برلين برقم ٩٤٩١ ونسخة مصورة عنها في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ـ جامعة بغداد برقم ١٥١٣ ، وهي النسخة التي اعتمدتها الاستاذة نبيلة في تحقيقها •

الهوامش

(١) مجلة أخبار أكاديمية علوم آذربيجان السوفيتية، سلسلة التاريخ، الفلسفة، القانون ، ١٩٧٣ نمرة ١ (نقد وفهرسة) · (المقال بالروسية) ·

(٢) كتبت ملخصا عن حياته نشرته مع ترجمتي لبحثه : حول مصطلح الخرمية ، في مجلة الثقافة الجديدة ، ١٩٧١ ، ٣٩/٢٧ ـ ٦٣ وكذلك عندما كتبت عنه: المستشرق بونييانوف وآخر نتاجاته ، في مجلة شمس كردستان العـــدد السادس عشر السنة الثالثة شباط ١٩٧٤ ص ١٥ـ١٧ ·

(٣) مطبعة الارشاد ـ بغداد ، ١٩٧٣ ، عدد صفحاته ٢٢٩ من الحجم المتوســط ، وقد ساعدت جامعة بغداد على طبعه ·

(٤) كتبه كما يلفظ عربيا بأحرف أجنبية حسب التهجي الروسى وترجمه الى الروسية (ايستوجنكي اى سادى اف ايزلوجينياخ ايستن) · يرى البعض ان العيون والحدائق تسمية لجمع العين والحدقة · بينما يذهب آخرون الى انها جمع للنبع والحديقة · وقد أخذ بونييانوف بالرأى الاخـــير في ترجمته لاسم الكتاب ·

(٥) المستشرق الالمانى كارل بروكلمان وكتابه تاريخ الادب العربى ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ـ المترجم ·

(٦) بصورة أدق وكما وارد في النص الروسي (من أسلوب أنشائه) ولكنـي فضلت ترجمته الى نمط أسلوبه ـ المترجم ·

(٧) أستخدمت الاستاذة نبيلة كتاب : سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار · تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ · وقد جاء ذكر هذا المصدر في ثبت المصادر في القسم الثاني من الجزء الرابـــع (العيون) ص ٢٢٦ ـ المترجم ·

(٨) أوردت محققة كتاب العيون عنه ما يأتى (ومن مصادر صاحب العيو بعد أبن الجزار الفرغاني وهو عبدالله أبن احمد بن جعفر بن خذيان التركي وهو مؤرخ ومحدث حدث بدمشق عن الطبرى وغيره ، من آثاره التاريـــخ المذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبرى توفى سنة ٣٦٢ هـ) ـ العيون ، الجزء الرابع ، القسم الاول ، ص ١٤ ـ المترجم ·

(٩) تذكر محققة الكتاب عن هؤلاء في المقدمة : (ويروى صاحب العيون أيضـــا عن أبي الحسين العجمي · وقد سماه مرة أبو الحسين العجمي ثم ذكـــره بأسم علي بن أحمد المعروف بأبن العجمي المرسوم بالنيابة من الاخشيـــد

على بساط السلطان · ولم أعثر على ترجمة له وذكر أبن العجمي أخبارا عن المتقي وهي أخبار أنفرد بها ثم اخبار عن الاخشيد · وذكر صاحب العيون أيضا رواية واحدة عن أبي محمد الحسن كاتب السير تتعلق بمصر ولم أعثر على ترجمة لهذا الراوى · كما روى صاحب العيون عن أبي عبدالرحمن العتقي الا أنه لم يذكر أسمه الكامل ولدينا بهذه الكنية أثنان أولهما : أبو عبدالرحمن العتقي محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصرى ، وهو مؤرخ كان متصلا بالعزيز الفاطمي وله رزق وأقطاعات ومن مؤلفاته التاريخ الكبير · وسيرة العزيز وأدب الشهادة أيضا وقد توفي سنة ٣٨٤ هـ · اما الآخر فهو محمد بن عبدالله بن محمد العتقي الفريابي الافريقي أبو عبدالرحمن أيضا ، وهو فلكي ومؤرخ له كتاب الجامع الى أيام العزيز العبيدى توفي بمصر سنة ٣٨٥ هـ) ، العيون ، الجزء الرابع ـ القسم الاول، ص ١٤ـ١٥ ـ المترجم ·

(١٠) البكرى ، أبو عبيد عبدالله بن عزيز (ت ٤٨٧ هـ) ، وأعتمدت الاستاذة نبيلة على البكرى في : (١) المسالك والممالك · مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا برقم ١٢٦٠ ، (٢) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب · (جزء من كتاب « المسالك والممالك » تحقيق دى سلان ، باريس ، ١٩٦٥ ، (٣) جغرافية أوربا والاندلس (قسم من كتاب المسالك والممالك) · تحقيق الدكتور عبدالرحمن الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٨ · العيون ، الجزء الرابع ـ القسم الثانى ، ص ٢٣٠ · علما بان للكبرى كتاب : معجم ما استعجم ، من اسماء البلاد والمواضيع ، طبع بعناية ويستغله بجزئين ـ كوتا ، ١٨٧٦ ـ ٧ ، وبتحقيق مصطفى السقا بأربعة أجزاء القاهرة ، ١٩٤٥· وتوجد طبعة جزائرية لكتاب المغرب تحقيق دى سلان ، ١٨٥٧ ـ المترجم ·

(١١) مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) وقد أعتمدت محققة كتاب العيون الاستاذة نبيلة علي مسكويه في تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق كايتاني ، الجزء الخامس (حوادث ٢٨٤ هـ ـ ٣٢٦ هـ) طبعة ليدن ، وتحقيق امدروز ، القاهرة ، ١٩١٦ م ، العيون ، الجزء الرابع ـ القسم الثاني ، ص ٢٣٧ ـ المترجم ·

(١٢) ذكرت الاستاذة نبيلة : (ومعلوماته من ٢٥٥ هـ ـ ٢٩٥ هـ متشابهة مع الطبرى ولكنها تختلف عنها لفظا وأسلوبا) ، العيون ج ٤ ـ قسم ١ ـ ص ١٧ ، وكذلك كتبت (اما في أحداث ٢٩٥ هـ ـ ٣٥١ هـ فينقل من تجارب الامم بأختلاف في اللفظ والاسلوب ، العيون ج ٤ ـ قسم ـ ١ ـ ص ١٨ · غير ان بونييا توف أستخدم في كلمتي الحالتين النمط أو الطريقة (منبرا ـ بالروسية وتعني أيضا أسلوب) عوضا عن اللفظ المترجم ·

(١٣) ذكرته الاستاذة نبيلة : (القرطبي عريب بن سعد « ت ٣٦٩ هـ ») ، صلة تاريخ الطبرى ، تحقيق دى غوية ، بريل ، ١٩٦٥ ، العيون ، الجزء الرابع ، القسم الثاني ، ص ٢٣٥ . ويسميه البعض : عريب ، عريب بن سعد القرطبي الكاتب ، ويذكرون وفاته ٣٣٦ هـ /٩٧٦ م ، وكتابه : صلة تاريخ الطبرى (وهو ذيل لتاريخ أبن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك) ، وطبع في مصر ، ١٣٠٢ هـ مع تاريخ الطبرى بجزء واحد ، وطبع مع الجزء الثاني عشر من تاريخ الرسل ويحتوى على حوادث من ٢٩٢ هـ الى ٣٢٠ هـ ، وبمطبعة الحسينية ١٣٣٦ هـ والقاهرة ، ١٣٤٠ هـ . وطبع قسم منه في كتاب (البيان المغرب في أخبار المغرب لابن العذارى المراكشى) ، وطبع بمصر ١٣٤٠ هـ . وينسب لعريب تقويم سنة ٩٦١ ميلادية لقرطبة أنظر المستشرق الهولندي دوزى ١٨٢٠ ـ ١٨٨٣ م) في : المستشرقون لنجيب العقيقي ، ٢/٦٥٨ ـ ٩ ـ ٦٦٠ . ـ المترجم .

(١٤) ذكرت في المقدمة أنه لايعلم عن صدور القسم الثاني حتى كتابة مقاله ـ أنظر هامش هذا المقال رقم ـ ٣ ـ . ـ المترجم .